الفصل الأول

التعريف بعلم الاجتماع

عند التعريف بعلم الاجتماع فان الضرورة تحتم أن تكون هناك نظرة تعبر عن ماضى التفكير الاجتماعى الذى هو بمثابة جذور تاريخية تأسس عليها الفكر المعاصر • ذلك أن هذا العلم لم ينشأ طفرة واحدة وانما جاء وليد فكر اجتماعى ساد المجتمعات قديمها و وسطها وحديثها ، وظهرت فلسفات اجتماعية مهدت نشأة هذا العلم فى صورة علمية وموضوعية •

ومن هذا المنطلق كان علينا أن نشير ـ فى ايجاز ـ الى أنماط الفكر الاجتماعى فى عجالة بهدف توضيح الرؤية للقارىء ، ومن ثم يستطيع أن يلمس عن كثب مبلغ ما وصل اليه هذا العلم من تقدم معرفى •

ومن ناحية أخرى ، فانه من البديهى ونحن نعرف علم الاجتماع أن نشير الى أبرز اتجاهات الفكر السوسيولوجى عند اثنين من رواد هذا العلم ومؤسسيه وهما : العلامة العربى ابن خلدون ، والعلامة الفرنسى أوجست كونت • وقد قصدت الاشارة لفلسفة كل من هذين المفكرين نظرا للجدل الذى يثيره البعض حول : من هو مؤسس علم الاجتماع حقيقة ؟ اذ يرى البعض أنه ابن خلدون • وقد أسماه علم العمران باعتبار أنه اسبق تاريخيا من الفكر الفرنسى الذى طور العلم وأظهره فى ثوب حديث ، جعل البعض يعتبرونه المؤسس الحقيقى لعلم الاجتماع •

وفضلا عن ذلك فان الاشارة لفكر العالمين يعطينا صورة مقارنة لما توصل اليه علم الاجتماع من اتجاهات نظرية ومنهجية فى الوقت المعاصر ، والى أى حد كانت كتابات الرواد لبنة هامة ارتكز اليها الباحثون من بعدهم فى تأصيل مباحث هذا العلم ، وتحديد مواقفه تجاه مشكلات المجتمع وقضاياه •

وبعد الانتهاء من العرض التاريخى المهد لظهور علم الاجتماع ، نشير فى فقرة ثالثة لموضوع هذا العلم وأغراضـــه وفروعه ، حتى تتضح بادىء ذى بدء أبعاده وفلسفته الحقيقية واستقلاله ، بل ومقدار ما يسهم به من حلول جذرية لمشكلات المجتمع ، وتطلعات الفرد والجماعة فيه ٠

وحتى يتضح تعريف العلم ، كان لابد من الاشارة الى العلاقة الوثيقة التى تربطه بالعلوم الأخرى وخاصـة العلوم الانسـانية والسلوكية التى يشترك معها فى علاقة عضوية من اجل تفسير السلوك الانسانى ودوافعـه ، وأثره فى بناء المجتمع ووظائفه ٠

أولا ـ أبرز اتجاهات التفكير الاجتماعى من منظور تاريخى :

نشير فى هذه الفقرة فى ايجاز الى ابرز ملامح التفكير الاجتماعى منـذ العصور القديمة بهدف اعطاء فكرة عن التطور التاريخى للتفكير الاجتماعى عبر العصور والمجتمعات ، بحيث يستطيع القـارىء ان يلمس عن كثب المؤثرات المجتمعية التى مهدت للوصول بعلم الاجتماع الى المرحلة الوضعية ، فضـلا عن الوقوف على أثر النسبية الزمانية والمكانية فى تحديد مسار العلم وتوضيح مقاصـــده وأهـــدافه ٠

ومن هذا المنطلق فسوف نتعرض لصور شتى من التفكير الاجتماعى فى بلاد الشرق القديم وعند اليونان والرومان ، وتاثير ظهور المسيحية والاسلام فى توجيه الفـكر الاجتماعى فى العصور الوسطى ، ثم نشـير فى عجاله الى الدراسات الاجتماعية الحديثة التى تعد احدى الروافد الجوهرية التى ادت الى ظهور شخصية العـلم ٠

فى بـلاد الشرق القـديم ـ ظهر التفكير الاجتماعى فى المجتمعـات ذات الحضارة العريقة مثل مصر ، حيث توفر عدد من المفكرين والحكماء والفلاسفة والمصلحين ، قاموا بدراســة مجتمعاتهم ، وتركوا من وصـــايا والحكم والدراسات ما يعد ذخيرة حية لصـورة المجتمع المصـرى فى العصور القديمة ، فاذا استقرأنا التاريخ نلاحظ أن الفراعنة عرفوا نظم الحكم وتفننوا فى وضع التشريعات المختلفة الاجتماعية منها والاقتصادية وغيرها ٠ وأمكنهم بذلك مزاولة الحكم أجيالا طويلة ، ونظرا لاتساع رقعة البلاد خاصـــة خلال حكم الأسرة الثانية عشرة والتاسعة عشرة ظهرت نظم كثيرة تتعلق بالسياســة

والحرب والقانون ، وقسمت البلاد الى أقاليم أدارها موظفون معينون من قبل الفرعون ، كذلك يعتبر المصريون القدماء أول من عرف نظام المعاهدات الدولية، وتبدو هذه المعرفة واضحة فى معاهدة السلام التى عقدت بين رمسيس الثانى، وبين ملك الحيثيين (١) ٠

ونجد فى الهند صورا شتى من العقائد والأديان والأفكار الميتافيزيقية التى أثرت بطريقة ما على نمط العادات والأعراف السائدة وأساليب التفكير والعمل ، وسيطرت على المعاملات والعلاقات والنظم بصورة يمكن القول معها ان هذه الأفكار الهندية التقليدية فى مجموعها عنيت بخلق أجيال من المتعبدين والنساك بصرف النظر عن تكوين المواطن الصالح ٠

وعلى عكس الفلسفة الهندية القديمة ، كانت صوره التفكير الاجتماعى عند الصينيين القدماء ، فتدلنا المعطيات التاريخية على ظهور فئات من الفلاسفة الاجتماعيين والحكماء الذين اهتموا بشئون الاجتماع والأخلاق والسياسة وغير ذلك بصورة تؤكد على أنهم تمكنوا من التوصل الى أرقى ما وصلت اليه الفلسفة الانسانية فى عصورهم ، وكانوا على عكس الهنود ، واقعيين فى تصوراتهم وفلسفاتهم ٠

فاذا ما انتقلنا الى نمط التفكير الاجتماعى عند اليونان ، فاننا نلحظ فيوع آراء وفلسفات كل من أفلاطون وأرسطو التى أسهمت بشكل ملحوظ فى تحديد المسار الاجتماعى للمجتمع اليونانى القديم ، وان كانت هناك فلسفات اخرى سابقة لآراء افلاطون وأرسطو أمكن دراستها دراسة تحليلية ٠

ونود القول أنه لا يمكن بحال فى هذه العجالة ان نسير تفصيلا لآراء أفلاطون وأرسطو ، وانما نكتفى بعرض الخطوط العامة لفلسفاتهما الاجتماعية، وعلى سبيل المثال فان أفلاطون ترك بحوثا أساسية هى : الجمهورية والسياسى والقوانين تتضمن دراسات مفصلة عن النواحى الاجتماعية ، خاصة فى كتابه « الجمهورية » حيث كان أفلاطون يرمى الى وضع أسس مدينة فاضلة تقوم على الفضيلة وتسودها العدالة ، وتبتعد عنها الشرور

---

(١) د ٠ عبد الحميد لطفى : علم الاجتماع : الطبعة الخامسة ٠ دار المعارف ١٩٧٣ ص ٢١٣ ٠

والآثام التى كانت سائدة فى المجتمعات الماثلة فى هذه العصور • وقد اعطى أفلاطون للفلاسفة دور الاشراف وحكم هذه المدينة وفقا لما تصوره من أسس معينة فى التربية الاجتماعية ، وشكل الحكومة التى تشرف على تسيير الأمور فيها •

بينما كتب أرسطو كتابة منظمة فى الدراسات الاجتماعية خاصة فى كتابه « السياسة » الذى ضمنه نظرياته فى شئون السياسة والاجتماع ، فقد درس نشأة الحياة الاجتماعية ، والدعائم التى يقوم عليها المجتمع السياسى ، فهى بمثابة مقومات نظرية الدولة ، وكان له أيضا آراء فى الرق والحكومة والأسرة •• الخ وقد تناول كل ذلك بأسلوب تحليلى موفق ومقارن •

وعند الرومان اتسم التفكير الاجتماعى بالرواقية ، ثم وجه مزيد عنايته الى الأخلاق وتطبيقاتها ، وأضاف اليها نزعة دينية ترمى الى السمو بالانسان ، وتأثر القانون الرومانى بهذه النزعة الرواقية التى سرعان ما اثرت بالتالى فى أسلوب التعامل الاجتماعى ، وخاصة أن الرق يعتبر أول ظاهرة اجتماعية تتأثر بالفلسفة الرواقية • فقد أضفى « مارك أوريل » على الرقيق سمة أخلاقية ، وأصبح عضوا فى المدينة ، كذلك أعطت الروح الرواقية الأب سلطات ونفوذا واسعا على أفراد أسرته ، وأتاحت لأفراد الأسرة بعض الحرية فى نطاق الأسرة •

ولما ظهرت المسيحية جاءت بمبادىء أخلاقية ترمى الى المساواة بين الأفراد ، كما كره الآباء الأول نظام الرق ونظام الملكية الخاصة واعتبروهما نظامين فاسدين لا يصح وجودهما فى دولة فاضلة ، ومن أبرز فلاسفة المسيحية فى قرونها الأولى أوغسطين ، وسان توماس فى القرون الوسطى ، وحنا كلفن الذى يمثل التفكير الاجتماعى المسيحى فى عصر الاصلاح الدينى •

وللعرب قبل الاسلام نظمهم الاجتماعية التى كان لها دور خطير فى بناء المجتمع القبلى • فقد عرفوا الحج ومارسوا نظام الأضحية والقرابين ، وألهوا الأصنام وعرفوا الكهانة ، كما عرفوا نظام الرق ، ومارسوا فن الطب ، وقدسوا العصبية والمروءة والشجاعة •

ولما جاء الاسلام اهتم بالمعاملات والعقائد والعبادات ووضع تشريعات دقيقة ومنظمة ، وشجع على التفكير والاجتهاد ، وزادت العناية فى العصر

العباسى بكل الثقافة ، وعنى المفكرون بتحليل ديناميات الحياة الاجتماعية ، الا أن الدراسات الاجتماعية فى العصر الاسلامى اتسمت بالصبغة الدينية ، كما جاء فى كتابات الفارابى ، الا أن هنـاك مظهرا تحليليا آخر أبرزه المفكر العربى المسلم ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة • وسوف نتناوله فى الفقرة القادمة بشىء من التفصيل •

وفى صدر العصر الحديث ظهرت مجموعة من الدراسات التى تعد احدى الروافد الأساسية التى أدت الى ظهور شخصية العلم مثل فلسفه ميكافيللى السياسية التى جاءت نتيجة طبيعية لظروف العصر الذى نشأ فيه وتأثره بالنهضة العلمية ، لذلك كانت له آراء فى الأمير والدين ، والحرية والحكومة •

كما نلمس فى القرن السادس عشر ظهور اليونوبيا الاجتماعية التى تهدف الى الاصلاح ، وما ينبغى أن يكون ، مثل الغاء الملكية الفردية وتوزيع الثروات وأدوات الانتاج وموارد الاستهلاك توزيعا عادلا • ومن أشهر المفكرين الذين نادوا بذلك توماس مور ، والمفكر الايطالى كمبانلا وغيرهما •

الا أنه يمكن القول أنه قد ظهرت فى الفترة ما بين ابن خلدون وأوجست كونت مدارس علمية تعتبر ممهدة لظهور علم الاجتماع بصفة جدية • ومن أشهر هذه المدارس :

أولا ـ نظريات التعاقد الاجتماعى : أو الفلسفة السياسية والتى حمل لواءها الفليسوف هوبز ولوك ، ثم المفكر الفرنسى روسو •

ثانيا ـ فلسفة القانون : وذلك بالرجوع الى أبحاث العلامة الفرنسى منتسكيو الذى يعتبر القانون مشتقا من الاجتماع الانسانى ، وكان يهدف من وراء ذلك الى وضع نظم مقارنة ، ونظريات سياسية وقانونية مستخلصة من نتائج دراسته وملاحظاته •

ثالثا ـ فلسفة التاريخ : حيث نظر المفكرون المحدثون الى التاريخ نظرة شاملة ، ويعتبرونه صورة حية يقرأ فيها الانسان عن الانسانية ، ومن أشهر نظريات فلاسفة التاريخ نظرية العلامة الايطالى فيكو ١٦٦٨ ـ ١٧٤٤، حيث يرى أن تاريخ الانسانية يمثل وحدة حية متماسكة ، وأن كل الشعوب تمر فى ثلاث مراحل متتابعة هى : المرحلة الدينية ، ومرحلة البطولة ، ثم

المرحلة الانسانية • كذلك هنالك نظرية فولتير الذى درس تاريخ الانسانية وقسمه الى مرحلتين : مرحلة الفطرة ومرحلة المدنية • كذلك يعتبر روسو من المفكرين الذين وضعوا نظريات فى فلسفة التاريخ ، فهو يرى أن الانسانية تطورت فى مراحل :

المرحلة الطبيعية (الفطرية) ، ثم المرحلة الفردية ، ثم مرحلة عدم المساواة وأخيرا ـ مرحلة التعاقد ، ومن فلاسفة التاريخ المفكر ترجو الذى وضع نظرية فى دراسة تاريخ الانسانية وتحدث عن الحضارة واللغة والعادات والتقاليد والتشريع والمواريث ، وهناك أيضا المفكر الفرنسى كوندرسيه الذى درس تاريخ الانسانية وتطورها وظهر ـ بقانون ذى مراحل عشر لتطور الانســـانية •

رابعـا ـ أصحـاب الفلسفة الاقتصـــادية : الذين درسوا الظواهر الاقتصـــادية باعتبارها خاضعـــة لقوانين اجتماعية ، كما درســوا ظاهرة الطبقات • ومن أشهر زعماء هذه المدرسة المفكر الفرنسى كناى من زعماء مدرسة الفزيوقراط ، وكذلك العلامة الانجليزى آدم سميث الذى درس ظاهرة الطبقات الاجتماعية ، واعتبر العمل عاملا ضروريا من عوامل الانتاج ، وهناك فضلا عن ذلك آراء للعلامة مالتس فى السكان •

خامسا : وهناك أخيرا أصحاب النظريات الاشتراكية التى ظهرت فى فرنسا والتى تأثر رجالها بالأحوال الاقتصادية السائدة ، الا أنهم درســوا المسائل دراسة فلسفية فى ضوء مبادىء وأسس لا يمكن تحقيقها • ومن أشهر زعماء هذه المدرسة سان سيمون وشارل فوريير وكانت (١) •

خلاصة القول : أن هــذه المراحل التاريخية المتتابعة تصــور التفكير الاجتماعى باعتباره رافدا جوهريا يوصلنا فى اطار حلقة المعرفة الانسانية الى مقومات علم الاجتماع فى صـــدر العصر الحديث ، فضـــلا عن ظهور اتجاهات شتى تتناول دراسة الاجتماع الانسانى بصورة تلائم طبيعـــة العصر الذى

---

(١) د• مصطفى الخشاب : تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره • الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ ص ١١ •

ظهرت فيه • وسوف نشير فى الفقرة القادمة الى أبرز اتجاهات الفكر السوسيولوجى عند كل من ابن خلدون وأوجست كونت •

ثانيا ـ نشأة علم الاجتماع

تتبعنا فى الفقرة السابقة صورا شتى من صور التفكير الاجتماعى عند الأمم والشعوب على مدار التاريخ ، وانتهينا الى ظهور مدارس فكرية كان لها فضل التمهيد لظهور علم الاجتماع فى المفهوم المعاصر •

الا أن هذه العجالة لا تكفى لتوضيح ماهية العلم ، وأرى أنه من الضرورى الرجوع الى التركيز على أبرز اتجاهات الفكر السوسيولوجى عند اثنين من مؤسسى هذا العلم ، وقد تتبعها الباحثون يدرسون آراءهم ويناقشونها ويحللونها ، وقد سبق القول الى أننا سوف نقتصر على دراسة أهم معالم الفلسفة الاجتماعية عند كل من : ابن خلدون ، وأوجست كونت •

ابن خلدون :

ولد أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون فى أول رمضان عام ٧٣٢ هـ الموافق ٢٧ من مايو ١٣٣٢ م فى تونس من أسرة ينحدر مؤسسوها فى الأندلس من أصل حضرى ، وينتسب الى وائل بن حجر ، واحد من كبار الصحابة كان يعلم قومه القرآن والاسلام •

وتجدر الاشارة الى أن ابن خلدون قد ولد فى بيت علم : تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم ، واهتم بدراسة الحديث والفقه ، وحفظ كثيرا من الشعر ، وكان توّاقا دائما الى الدراسة والتاصيل العلمى ، وكان ذلك هدفا حدده لنفسه منذ صغره ، لدرجة أن السلاطين والحكام استعانوا به فى مهام مختلفة ، ربما شغلته تلك المهام عن طلب العلم فترة ، لكنه كان حريصا على المزيد باستمرار من التزود بالعلوم • فقد اقتضت الضرورة أن يغادر ابن خلدون تونس ، ويتنقل فى بلاد المغرب ، وأن يقوم بالنشاطات العلمية والسياسية •

وليس من شك أن هذه النشأة العلمية والبيئة الاجتماعية التى عاش فيها ابن خلدون قد وسعت مداركه ، وأتاحت له فرصا نادرة للتفتح الذهنى ، ومقابلة العلماء من مختلف التخصصات والثقافات (١) •

---

(١) د • حسن الساعاتى : علم الاجتماع الخلدونى • دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٧٥ ص ٢٥ •

وقد تطرق ابن خلدون الى موضوعات شتى تتعلق بالعمران البشرى . تراه مثلا يقول فى مقدمته فى الباب الاول من الكتاب الأول « فىالعمران البشرى على الجملة وفيه مقدمات (١) ٠

« الأولى فى أن الاجتماع الانسانى ضرورة ، ويعبر الحكماء عن هـذا بقولهم (الانسان مدنى بالطبع) ، أى لابد من الاجتماع الذى هو المدنيـة فى اصلاحهم ، وهو معنى العمـران فى بيانه أن الله سبحانه وتعـالى خـلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغـذاء ، وهـداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، الا أن قدرة الواحـد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ، غير موفية لـه بمـادة حياته منه ، ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطـة مثلا ، فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ ٠٠ ويستحيل أن تفى بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلابد من اجتماع القـدرة الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم » ٠

فكأن ابن خلدون وهو بصدد الحديث عن نشأة العمران البشرى يعتبر عملية التعاون ركيزة ضرورية لقيام هذا العمران ، واذا كنا قد اقتطفنا مثـالا من صور هذا التعاون وهو عن عملية الغـذاء ، فانه يعطى أيضا صورا شتى لضرورة هذا التعاون وأهميته مثل الدفاع عن النفس ٠

واذا كان ابن خلدون يرى أن التعاون بين الأفراد والجماعـات ضـرورة اجتماعية لقيام العمران البشرى ، فانه لم يترك هذا التعاون يتم مصـادفة وحسب الأهـواء ٠ ذلك أنه يقول فى البـاب الثالث من الكتاب الأول « أن العمران البشرى لابد له من سياسة ينتظم بها أمره » :

« اعلم أنه تقدم لنا فى غير موضع أن الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه ، وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شـرع منزل من عنـد الله سبحانه وتعالى يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذى جـاء به مبلغه ، وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٠ تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ص ٣٩ ٠

ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم ، فالأولى تحصل نفعها فى الدنيا والآخرة بعلم الشارع بالصالح فى العاقبة ، والمراعاته نجاة العباد فى الآخرة ، وللثانية انما يحصل نفعها فى الدنيا فقط » (١) ٠

وواضح من هذا النص أن ابن خلدون انما يتحدث عن مقومات علم الاجتماع السياسى بالمفهوم المعاصر ، وان كانت كتاباته تتسم بالروح الدينية التى تشبع بها منذ فترة دراسته ، وتبدو هذه الصبغة الروحية فى اهتمام ابن خلدون بحكم السماء الذى فيه نجاة العباد فى الدنيا والآخرة ، بينما حكم الأرض انما ينفع الناس فى الدنيا فقط ٠ أى أن المتغير الدينى له أثره البعيد فى فكر ابن خلدون ٠

وحين يتحدث عن ضرورة قيام العمران البشرى ، وأن هذا العمران لابد له من سياسة ينتظم بها أمره ، نجده فى وضع آخر يرى : « أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره ، وانها مؤذنة بفساده » (٢) وتفصيل ذلك حسب قوله :

« ٠٠ وأن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقه له عمر محسوس ، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمرا محسوسا ، وتبين فى المعقول والمنقول أن الأربعين للانسان غاية فى تزايد قواه ونموها ، وأنه اذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنمو برهة ، ثم تأخذ بعد ذلك فى الانحطاط ٠٠ فلتعلم أن الحضارة فى العمران أيضا كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها ، وذلك أن الترف والنعمة اذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه الى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها ٠ والحضارة كما علمت هى التفنن فى الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التى تؤلق من أصنافه ٠٠٠ وهكذا يستطرد ابن خلدون فى كيفية تغير النفس الانسانية بتأثير مظاهر (الحضارة) التى تتفاوت بتفاوت العمران ، فيحدث الفساد « ويموج بحر المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة ٠ واذا كثر ذلك فى المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها » ٠

---

(١) المقدمة ص ٢٧٢ ٠
(٢) المقدمة ص ٣٣٤ ٠

وهكذا يصور لنا ابن خلدون كثيرا من مظاهر سوء التنظيم الاجتماعى بالفهم المعاصر ، وما يحدث نتيجة ذلك من تخلف ، وكل هذه الأمور توضح أن ابن خلدون كان محللا دقيقا لظواهر العمران البشرى كلما لمسه عن كثب فى رحلاته وترحاله ، مما يدل دلالة قاطعة على أن فلسفته الاجتماعية لم يضعها من وحى الخيال ، وانما هى من مزيج منصهر لثقافاته وواقع مجتمعه والمؤثرات المجتمعية التى عاشها وتأثر بها ٠

وفضلا عن كل ما تقدم ، نراه يحدد العلاقة بين علمه الجديد « علم العمران » ، وبين التاريخ فى قوله (١) ٠

« اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفائدة ، شريف الغاية ، اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرونه فى أحوال الدين والدنيا ، فهو محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانسانى ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم ، والحيد عن الصدق ، وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين دائمة النقل من المغالطات فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو ثمينا ٠

ولا غرابة فى أن يضع ابن خلدون قاعدة هامة فى الانتفاع بالمعطيات التاريخية فى تأصيل البحث الاجتماعى ، خصوصا وأنه قرأ تاريخ العالم الاسلامى ، وهدته دراسة هذا التاريخ الى ما يحدث فى العالم من ظواهر اجتماعية لا تسير حسب الأحوال والمصادفات ، ولا وفق ارادة الأفراد ، وانما وفق قوانين ثابتة ، وقد دفعه ذلك الى ضرورة اعادة النظر فى أسلوب معالجة الوقائع التاريخية نظرا للمغالطات الشديدة التى يقع فيها المؤرخون ، كما هو واضح من النص ٠

---

(١) المقدمة ص ١٢٠

وقد حفلت المقدمة بكثير من الدراسات السياسية والاجتماعية المتعلقة بالحروب والخلافة والعصبية ، والنظم الأسرية والتربوية والأخلاقية ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على أصالة فكر ابن خلدون وتعمقة فى تاكيد هوية ذلك العـــلم ٠

وبذلك نخلص الى القول بان علم الاجتماع فى نظره ان هو الا علم نظرى تقريرى يهدف الى شرح ما هو كائن للوقوف على طبيعة الحقائق المدروسة وعناصرها ووظائفها ، والقوانين التى تخضع لها ، وله جانب تطبيقى يرمى الى الانتفاع بنتائج هذه الدراسة العلمية التحليلية فى تصحيح التاريخ (١) ٠

غير انه يمكن أن يوجه النقد الى ابن خلدون فى انه لم يحسن استغلال قواعده المنهجية ، ولم يسر فى تطبيقها الى النهاية ٠ وأن ما توصل اليه من قوانين اجتماعية يكاد لا يصدق الا على الأمم التى لاحظها ، وان كان هـذا النقد لا يقلل من الأصالة العلمية لابن خلدون كاول مفكر فى علم الاجتماع (٢) ٠

هذا هو نمط التفكير السوسيولوجى عند العلامة ابن خلدون ، وهو يمثل لونا من ألوان الفهم الاجتماعى خلال حقبة معينة من التاريخ ٠

ولننتقل الآن الى دراسة أخرى تشير الى فهم آخر لحقائق الاجتمـــاع الانسانى عند العلامة أوجست كونت ٠

أوجست كونت ١٧٩٧ ــ ١٨٥٧ :

سبق ان أوضحنا أنه فى الفترة ما بين ابن خلدون وأوجست كونت ظهرت مدارس فكرية متعددة تناولت دراسة شئون العمران البشرى سياسيا واجتماعيا وقانونيا واقتصاديا ٠٠ وقلنا ان هذه المدارس تعد بحق ممهـدة لظهور علم الاجتماع بالفهم الحديث ٠ وبطبيعة الحال فقد استفادت هـذه المدارس من كافة الاتجـاهات والآراء السوسيولوجيـة السابقة على ظهورها حتى جاء العلامة الفرنسى أوجست كونت ، وطالب بضرورة نشأة علم جديد

---

(١) د٠ مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ٠ الانجلو المصرية ١٩٧٥ ص ٢٤٠

(٢) د٠ مصطفى الخشاب : مرجع سابق ص ١٦٥٠

لدراسة المجتمع : سماه فى بادىء الأمر ، علم الطبيعـــة الاجتماعية ، ثم عاد فأسماه علم الاجتماع ٠

وهنا يثور سؤال حول أول من أنشأ هـذا العلم : هل هو العلامة ابن خلدون ، أم أنه أوجست كونت ؟ اننا نميل الى القول بأن ابن خلدون هو أول من أنشأ هذا العلم ، وقد سبق كونت بحوالى أربعة قرون فى اظهار عـلم العمران « الاجتماع » ٠ ثم جاء الثانى (كونت) مدفوعا بتأثير ـ الحـالة الباثولوجية التى سادت المجتمع الفرنسى ، وطالب بانشاء علم جديد لاصلاح حال المجتمع وانقاذه من الفوضى الاخلاقية والعقلية الشائعة حينذاك ، فكأنه نظر الى الظواهر والنظم الاجتماعية السائدة فى عصره ليصبغ العلم بالسمة الملائمة لطبيعة العصر الذى عاش فيـه ، متأثرا بكافة الظـروف والمؤثرات المجتمعية والثقافية السائدة ٠ وبمعنى آخر فان كونت وضع صياغة جديدة للعلم الذى يدرس المجتمع بعد أن مر عليه زمن طويل بعد وفاة ابن خلدون ٠

اذن فما هو مفهوم علم الاجتماع من وجهة نظر أوجست كونت ؟

يرى Max Horkheimer أن مفهوم علم الاجتماع يشير الى العلم الذى يدرس المجتمع ، وأن لهـــذا المفهوم دلالة لاتينية تشير الى خصـــائص النظام فى المجتمع باعتباره محور مناقشات هذا العلم ٠

ويشير أيضا الى أن علم الاجتماع بهـــذا المعنى قد وضع بمعرفة عالم الاجتماع الفرنسى أوجست كونت Compte الذى هو فى نظر الفرنســـيين مؤسس العلم ٠ فقد وضع كتابا سماه « دروس فى الفلسفة الوضعية ١٨٣٠ ـ ١٨٤٢ » حاول ان يصبغ هـذا العلم بالروح الوضعية حتى يكتسب مقومات العلوم المحترمة ، ويخلصه من كافة ما علق به من معارف عامة ، ومعتقدات دينية ، وميتافيزيقية ، هادفا الوصول الى الحقيقة الاجتماعية ، طامحا أن يوضع فى مصاف العلوم الطبيعية والرياضية هذا من ناحية ، ومن ناحيـــة أخرى يهدف العلم الجديد الوصول الى مرحلة التطبيق بعد مرحلة التنظير الموضوعى ، وبذلك يتخلص العلم من التفكير الفلسفى الخيالى خاصـة وانه كان أحد فروع الفلسفة التى اهتمت بدراسة نظام المجتمع فى نظـرة شـاملة واسعة ، فهـذا أفلاطون ، نجد فى فلسفته المعلنة فى جمهوريته الخيالية أفكارا فلسفية عن مجتمع العدالة بل ان اتباعه كانوا انعكاسا أمينا لتجربته فى

دراسة المجتمع . وقد استفاد من أفكار سقراط حول علاج مشكلات المجتمع بعـــامة .

هكذا اراد كونت تخليص العلم الجـــديد من الأفكار الفلسفية ويقيم دعائمه على أسس موضوعية ، مثلما هو الحال فى العلوم الطبيعية التى تصل الى قوانين أكثر يقينا أنه يجب أن يتغير المجتمع عن طريق قيام علم الاجتماع الوضعى الذى يهدف حتما الى خلق مجتمع انسانى منظم ، ولن يتسنى لـــه تحقيق هذا الهدف الا اذا صيغت نظرية عامة لهذا العلم (١) .

وقد قسم كونت علم الاجتماع الى قسمين : الستاتيك سوسيال ، وهو ما يتعلق بالاستقرار ، ثم الديناميك سوسيال وهو الجـانب التطورى فى العلم . وليس هنـــاك فى حقيقة الأمر فصل بينهما ، فالستاتيك سوسيال يهتم بدراسة التفاعلات الداخلة فى اطار البناء الاجتماعى وما تؤدى اليـــه من قيام عمليات التعاون ، وتقسيم العمل بين الأفراد والجماعات . ويرى كونت أن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية الأولى فى المجتمع وليس الافراد ، فهى ثمرة الحياة الاجتماعية ، وان كان يميز بينها فى طبيعتها وبين طبيعـــة المجتمع ، لان الأسرة لها خواصها الخلقية والعاطفية التى تتميز عن طبيعة المجتمـع الكبير المتسم بسمات التعـــاون ، والتميز على وجـــه الخصـــوص بالطبيعة العقليـــة .

وكما كان لابن خلدون دراسات شتى من النواحى الاجتماعية ــ فكذلك درس أوجست كونت الاقتصاد والأخلاق ، الا أنه طالب بضرورة قيام ديانة وضعية هى عبادة الانسانية بدلا من فكرة الاله فى الديانات السماوية ، وهذه حطيئة لا يمكن أن نغفرها لأوجست كونت ، وأبسط ما تشير اليه الفكرة انها تميل الى الفلسفة التى أراد كونت أن يخلص العلم منها .

أما الجانب الدينامى فى فلسفة كونت فيتعلق أساسا بدراسة كل عوامل

---

(١) Max Horkheimer: Aspects of sociology by the frankfort Institute for social Research, trans by veirted Henman, 1973 P.I.

التقدم فى المجتمع والأسباب الدافعة الى التغير الاجتماعى ، فهو يـــرى أن التقدم قد ظهر أول ما ظهـر فى العلوم الطبيعية • ولا منـاص من أن يشمل الدراسات الاجتماعية • وعلى ذلك يؤمن كونت بقانون التقدم الانسانى •

اذ يرى أن الانسانية قد مرت فى مراحل تطورها بثلاث مراحل هى :

المرحلة اللاهوتية أو الدينية ، ثم المرحلة الميتافيزيقية ، وأخيرا وصلت الى المرحلة الوضعية • هذا القانون التطورى هو فى نظر المفسر لكافة مظاهر التطور فى المجتمع •

وعلى الرغم من الأهـــداف العلمية التى وضعها كونت لانشاء علم الاجتماع من حيث تحقيق الوضعية فى البحث الاجتمـــاعى ، الا أن آراءه واتجاهاته لم تخل من مثالب كثيرة ، من بينهـا : أن اعتبـار الانسانية كل لا يتجزأ يخضع لقانون واحد ، قول خاريء وغير واقعى ، اذ الملاحظ أن هناك مجتمعات وليس مجتمعا واحدا عالميا • أما فكرة تطور الانسانية من مرحلة دينية ثم ميتافيزيقية فوضعية ، فانه ليس من الضرورى تتابع هذه المراحل فى سياق زمنى على التوالى ، اذ تجد فى الوقت الحاضر من يفسر الظواهر الاجتماعية والطبيعية تفسيرا دينيا ، فى الوقت الذى يقول فيه كونت اننـا وصلنا مرحلة الوضعية ، وعلى ذلك يمكن القول أن قانون الحالات الثـلاث قانون فلسفى لانه ينطبق على مجتمعات تاريخية بعينها دون أن يستقرىء كونت تاريخ كل المجتمعات الانسانية ، هـذا فضـلا عن أن القانون يفسر الحضارة بمعنى التقدم ، فى حين أن مفهوم الحضارة عبارة عن مستوى عام للحياة ، مادية كانت أم روحية للمجتمـــع ، دون نظر الى تقدمهـــا أو تأخرها (١) •

وفوق كل ذلك فان توصله الى قانون الحالات الثلاث ينافى ما جاء به ـ كما سبق القول ـ من اتجاهات واهداف علمية وضعية • وفضـلا عن ذلك فان الدين الوضعى الذى نادى به لا يمكن أن يوضع وضـعا ، فالدين نظام اجتماعى ينشأ نشأة تلقائية (٢) •

ورغم هذه الانتقادات الموجهة لكونت فانها لا تقلل من شانه وأصالته

---

(١) د • عبد الحميد لطفى : مرجع سابق ص ٢٨٢ •
(٢) د • مصطفى الخشاب : مرجع سابق ص ٢٥٨ •

ومحاولته صياغة قضايا علم الاجتماع بحسب ظروف العصر الذى عاش فيه وارسائه على أسس موضوعية ٠

ثالثا ـ موضوع علم الاجتماع وأغراضه وفروعه :

بعد أن تعرضنا فى الفقرات السابقة لتوضيح أبرز اتجاهات التفكير الاجتماعى ، واشرنا الى المقومات الأساسية للفلسفة الاجتماعية عند كل من ابن خلدون وأوجست كونت ٠ نتناول فى هذه الفقرة التعريف بموضوع العلم واغراضه وفروعه مستفيدين فى ذلك الى أبرز آراء الفكر السوسيولوجى لرواد علم الاجتمـــاع ٠

يرى العلامة هربرت سبنسر ١٨٢٠ ـ ١٩٠٣ أن علم الاجتماع ينبغى ان يدرس مقومات التعاون بين الوحدات الاجتماعية داخل المجتمع ، فمثـلا عليه أن يدرس تطور الأسرة ونشأة التنظيم السياسى ، الذى ينظم سلوك الأفراد والجماعات ويضع من الضوابط ما يحقق الانسجام بين الجميع ، كما يتعين على العلم ن يدرس تطور الأبنية الكنسية ووظيفتها وكيف تعتبر أداء اجتماعية ضابطة ، أيضا فان دراسة قطاع الصناعة من منظور سوسيولوجى يعد على جانب كبير من الأهمية فى دراسات علم الاجتماع ، وهكذا نرى أن علم الاجتماع فى مفهوم سبنسر لا يقتصر على دراسة نظم بعينها ، أو عمليات اجتماعية كالضبط الاجتماعى بمفرها ولكن يدرس التأثيرات المتبادلة بين الأجزاء والكليات وما ينجم عن ذلك من تبـادل وتفاعل فى العلاقات ، وهكذا يعتبر سبنسر المجتمع وحده التحليل السوسيولوجى عند الباحث الاجتماعى، ذلك انه وان كانت اجزاء المجتمع ووحداته وتنظيماته تبدو وكأنها منفصلة عن بعضها البعض الا انها ترتبط بعلاقات دائمة وهذا ما يجعل المجتمع يمثل كيانا كليا ، وموضوعا أساسيا للدراســـة الاجتماعية المقارنة ســـواء على المستوى الافقى بين مجتمع وآخر أو على المستوى الرأسى داخـــل المجتمع الواحد عبر تاريخه وذلك حتى نتبين حقيقة البناء الاجتماعى ووظيفته ٠

واهتم العلامة ماكس فيبـــر Max Weber ١٨٦٤ ـ ١٩٢٠ اساسا بقضايا منهجية فى كتاباته الاجتماعية فقد نادى بمنهج « الفهم » لمناقشـــة التعبيرات التى تحدث حين يتمسك بالموضوعية ، والحياد فيما يتصل باطلاق

الأحكام القيمية فى العلوم الاجتماعية وقد وضـــع فيبر تفسيرا لعلم الاجتماع مؤداه أنه العلم الذى يمارس تفســـير الفعـــل الاجتماعى Social action للوصول الى نتائجه باعتبار أن الفعل الاجتماعى فى مفهوم فيبر يحوى كافة أنواع السلوك الانسانى حينما يصيغها الفاعلون بسمات فردية ، الا أن فيبر لم يدرس هذه الأفعال الاجتماعية بعضها هذه بمعنى أنه لم يؤسس علم الاجتماع عنده على مجموعة من الاحكام الوصفية لهذه الأفعال والعلاقات وانما ركز جهده على دراسة بعض النظم القائمة بالفعل مثلا : الدين والاقتصاد والأحزاب والسلطة والبيروقراطية والطبقة الاجتماعية والطبقة المغلقة والمدنية والموســـيقى (١) ٠

ويرى Max Horkheimer أنه حـــين نحاول تحديد موضوعات علم الاجتماع فاننا بالضرورة ينبغى أن ننظر الى أشكال المجتمعات وأن ننظر الى ظواهر المجتمع كالأسرة والمهنة والدين والحزب ، فهـــذه الظواهر تعتبر مجالا خصبا لدراسات علم الاجتماع ، كما أن بينها تساندا وظيفيا ، وفوق ذلك فان فكرة التنبؤ فى علم الاجتماع على جانب كبير من الاهمية وتدل على تنسيق فعال بين جزئيات الظاهرة حتى يمكن حدوث التنبؤ وبالتالى يمكننا الوصول الى فكرة القانون ، كما أن دراسة التغير الاجتماعى تعتبر موضوعا هاما يدخل فى دائرة نفوذ علم الاجتماع حيث يتعرف الباحث على عوامل هذا التغير اذ قد يكون تغيرا بالثورة ٠

ووصف لينـد علم الاجتماع عام ١٩٣٩ بانه الاجتماع الواقعى ذلك أن هذا العلم فى نظره يهدف الى تحقيق درجة من النقاء فى الأشكال الاجتماعية وقد يسمى بعلم الاجتماع الشكلى ، ويخص نفسه بميادين تبحث عن الحقيقة الاجتماعية بأسلوب وصفى تقريرى ، وهنا تبـدو الحقيقـة الواضحة فى أن المجتمع يحتوى على ظواهر وعمليات اجتماعية مثل الطبقات الاجتماعيـــة والتدرج الاجتماعى والديناميات الاجتماعية والضبط الاجتماعى ٠

اذا من الأهمية بمكان أن تنظر الى مفهـوم علم الاجتماع من زاويـــة

---

(١) د ٠ محمد الجوهرى وآخرون : دراسة علم الاجتماع ٠ دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٧٥ ص ١٥ ٠

سوسيولوجية لا غبار عليها باعتبار أن الأفراد ان هم الا كائنات انسانية تجمعت فى شكل جماعات تعتبر وحدات أساسية فى تكوين المجتمع ذلك هو التفسير السوسيولوجى « مجتمع » وهو نطاق دراسة علم الاجتماع ، وان كان هناك من يفسر المجتمع من منظور بيولوجى أو منظور نفسى داخلى · او قد يفسره البعض من منطق الصراع من أجل البقاء ·

لكن هذه التفسيرات المتباينة لا تجعلنا نفقد هويتنا السوسيولوجية باعتبار أن المجتمع بناء متماثل يضم أفرادا وجماعات يعتمد بعضهم على بعض ولكل وظيفة اجتماعية وبهذا يصبح مفهوم المجتمع مفهوم وظيفى ، وعلم الاجتماع بهذا يصبح علم الاجتماع للوظيفى (١) ·

وزيادة فى تأصيل مفهوم العلم فان العلامة « مت Paut E. Mott يرى ان علم الاجتماع يتعلق بدراسة السلوك الانسانى ، ولذلك فهو ميدان مصاحب لعلم النفس والعلوم السياسة والاقتصادية والأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وقد يدهش الفرد حين يرى الانفصال البادى بين هذه العلوم خاصة وأنها تدرس السلوك الانسانى ، لكن مع هذا ينبغى أن نضع فى الاعتبار تلك العلاقة الوثيقة بين علم الاجتماع وعلم النفس مثلا وتكون هذه العلاقة أوضح ما تكون حينما تقوم بدراسة الجريمة والانتحار وانحراف الاحداث فكلا العلمين يقوم بتفسير أسباب السلوك الانحرافى من منظور سوسيولوجى فى علم الاجتماع أو من منظور سيكلوجى فى علم النفس ، ويتضح من ذلك أن علم الاجتماع لا يهتم بدراسة السلوك الانسانى من الداخل · ولكن يرجعه الى أثر البيئة الاجتماعية ، والموقف الاجتماعى الذى يحدث فى اطاره الفعل ، وبمعنى آخر فان الجماعات الانسانية تؤثر على الأفراد باعتبار أن الجماعة شكل من أشكال التنظيم يساعد الأفراد على التفاعل والتأثر والتأثير بالغير (١) ·

وهناك تعريفات متباينة للعلم ، فقد عرفه « جدنجز » بأنه الدراسة

---

(١) Max Morkheimer : op. cit., P. 1.

(٢) Paul E. Mott : The organization of society. Prentice Hall, Inc. Englewood cliffs, New Jersey 1965 p. 3.

العلمية للمجتمع وعرفه « روس » بأنه علم الظواهر الاجتماعية ، وعرفه « ماكيفر » بأنه العلم الذى يدور حول العلاقات الاجتماعية (١) ٠

من كل ما تقدم يمكن القول أن علم الاجتماع يقوم بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة بنائية وظيفية تطورية مقارنة ، وهو فى سبيل ذلك يقوم بتفسير اسس العلاقات الاجتماعية القائمة من واقع التفاعل المتبادل بين الجماعات ٠ ويهدف العلم من وراء ذلك الى الوصول لفكرة القانون الاجتماعى الذى هو ثمرة كافة البحوث والدراسات السوسيولوجية ٠

وتجدر الاشارة الى أنه وان وصف علم الاجتماع بأنه علم نظرى يقرر حقائق الاشياء كما هى عليه ، مع هذا فانه له أهدافا تطبيقية عملية ، فالدراسة النظرية للظاهرة الاجتماعية مثلا هى بمثابة خلفية نظرية لا غنى عنها لقيام دراسة ميدانية وفقا لاطارها العام كما يحدث فى كافة العلوم المحترمة ، وفى علم الاجتماع لا يتمكن الباحث من القيام بعمل ناجح مامون العواقب فى مجال الاصلاح الاجتماعى الا بعد التمهيد لذلك بدراسة نظرية للمجتمع موضوع البحث ، والوقوف على القوانين التى تحكم سير الظاهرة الاجتماعية وفى ضوء ذلك يتمكن الباحث من وضع خطط العلاج (٢) ٠

ويرتبط تحديد موضوع العلم وأهدافه بما نسميه بفروع علم الاجتماع ذلك أن مجال الدراسة فى هذا العلم أصبح متشعبا وغزيرا ، بحيث يكون من المتعذر الوصول الى نتائج يقينية ، مع اتساع دائرة نفوذه بهذه الصورة ، وعلى هذا الأساس فان الضرورة تحتم ان يكون هناك علم الاجتماع العام الذى يدرس فلسفة العلم وقوانينه ومبادئه وأهدافه ، وأن يكون الى جانب هذا العلم فروع تابعة له يغذيها بمقوماته الأساسية ، وفى ذات الوقت يتخصص كل فرع فى مجال معين لدراسة الظواهر الاجتماعية وهكذا تبدو الرابطة بين علم الاجتماع العام وفروعه ، فهناك تداخلا بين هذه الفروع وهناك تساندا وظيفيا بينها وبين العلم العام ٠

---

(١) د ٠ عبد الحميد لطفى : مرجع سابق ص ٣٥ ٠
(٢) د ٠ مصطفى الخشاب : مرجع سابق ص ٥٥ ٠

ومن هذا المنطلق رأينا أن نلقى بعض الضوء على فروع العلم المختلفة حتى تكتمل الصورة فى ذهن القارىء ٠

من بين هذه الفروع ـ علم الاجتماع الحضرى ـ ويدرس هذا العلم المدينة باعتبارها المتغير الأساسى فى تفسير الحياة الحضرية ، وقد اهتم بذلك الفرع زعماء مدرسة شيكاغو وعلى الأخص روبرت بارك ، ولويس ويرث ، وروبرت ريد فيلد وآخـــرون من بعدهم ، اعتمدوا على المنهج الاكولوجى فى تفسـير الحضرية (١) باعتبار أن ظهور المدن وما يصاحبها من تغير وهجرات وزيادة فى كثافة سكانها وتاثرها بالتقدم التكنولوجى وما استهدفت له من مشكلات مختلفة ، كل هذه الأمور دعت الى ضرورة قيام علم الاجتماع الحضرى مستهدفا كافة هذه المقومات الحضرية (٢) ٠

ويقوم علم الاجتماع الصناعى ـ وهو أحدث فروع العـــلم بدراســة الصناعة باعتبارها ظاهرة اجتماعية سواء فى نشأتها أو تطورها أو خصائصها، كما يعنى هذا العلم بدراسة المجتمع الصناعى من مديرين أو مشرفين أو علاقات صناعية وانسانية (٣) ٠

ويدرس علم الاجتماع الأخلاقى ـ الأخلاق باعتبارها ظاهرة اجتماعية محورها الواجب الذى يرتبط واقعيا بالمجتمع لا ما يمليه أوامر العقل الداخلية، وتشتق أساسا من أوامر العقل الجمعى متمثلة فى سنن المجتمع غير المكتوبة ويهتم هذا الفرع من علم الاجتماع بخلق المواطن الصالح الذى يراعى قواعد المجتمع وأهـــدافه ويعمل على تقـــدمه ويتمشى مع ما يفرضه القانون من تعليمات (٤) ٠

ويدرس علم الاجتماع الاقتصادى ـ الظواهر الاقتصادية من منظـور

---

(١) د ٠ محمد الجوهرى : مرجع سابق ص ١٦٠ ٠
(٢) د ٠ مصطفى الخشاب :علم الاجتماع الحضرى ٠ الانجلو المصرية ١٩٧٦ ص ٣ ٠
(٣) د ٠ عبد العزيز عزت : علم الاجتماع الصناعى ٠ الانجلو المصرية ١٩٦١ ص ٥ ٠
(٤) د ٠ عبـد العزيز عزت : فى الاجتماع الأخلاقى ٠ الانجلو المصرية ١٩٥٩ ٤٠ ٠

سوسيولوجى باعتبارها لا توجد الا فى مجتمع ، لذلك فان هذا العلم ينظر الى الظواهر الاقتصادية باعتبارها ظواهر اجتماعية تتفاعل وتتساند مع باقى الظواهر الاخرى من دينية وسياسية وأخلاقية ولغوية ... الخ ويهدف الاجتماع الاقتصادى الوصول الى قوانين ذات طبيعة اجتماعية لدراسة البناء الاجتماعى والعمل على تقدمه والارتقاء بمستوى الحياة فيه وهو فى هذا يراعى مبدأ النسبية الزمانية والمكانية فى دراسته لكافة هذه الأمور (١) .

وقد ظهر علم الاجتماع الريفى - كمبحث مستقل فى مطلع هذا القرن ثم ظهر بعد ذلك فى أوربا خلال فترة لاحقة ، ويهتم هذا الفرع أساسا بدراسة المجتمعات الريفية وعلاقتها بالمجتمع الاكبر ، كما أن هناك دراسات ريفية اهتمت بدراسة المجتمع الريفى فى الدول النامية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية كما اهتمت دراسات اجتماعية ريفية أخرى بالنمط الاقتصادى للريفيين فى مجتمعات ذات ايديولوجيات متباينة ودور الفلاحين كفئة اجتماعية فى أحداث المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٢) .

ويهتم علم الاجتماع العائلى بدراسة الأسرة كنظام اجتماعى فى نشأته وتطوره واشكاله ووظائفه ، ويقوم بدراسة مشكلات الأسرة وأسلوب العلاج وعلاقة الوظيفية الأسرية بالنظم الاجتماعية الاخرى .

تلك هى أبرز فروع علم الاجتماع العام يختص كل منها بدراسة ظواهر محددة وبذلك يكتمل للعلم مقوماته الأساسية ، ويبتعد عن الحشو العشوائى للمعلومات السطحية ، ويبقى علم الاجتماع العام الأم التى تمد وليدها بقواعد البحث وأسس الدراسة حتى تتمكن هذه الفروع من ارساء بحوثها ومقومات الدراسة فيها على أسس موضوعية تتمشى وأصالة هذا العلم وموضوعيته وحيدته .

---

(١) د . مصطفى الخشاب : دراسات فى الاجتماع الاقتصادى . مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٥٧ ص ١٤ .

(٢) د . السيد الحسينى وآخرون : علم الاجتماع الريفى والحضرى. دار الكتب الجامعية الطبعة الثانية ١٩٧٥ ص ١٧ .

(رابعا) علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى :

اذا كان علم الاجتماع له حدوده وموضوعات دراسته كما أسلفنا القول ، فانه وفقا لتقسيم العمل والتخصص بات ضروريا أن يتميز وتصبح له هوية مستقلة عن جيرانه من العلوم الأخرى كالاقتصاد والتاريخ وعلم النفس وغيرها وان يختص بمنطقة نفوذ ذات طابع سوسيولوجى ، ومع هذا فان هناك رابطة بين هذا العلم وبين باقى العلوم الأخرى لأنها تتناول دراسة الانسان ومن هنا يصبح الاعتماد المتبادل بينهما جميعا ضرورة كالعلاقة بين علم الاجتمـــاع والتاريخ مثلا أو يدرس العلم الأول العمليات الاجتماعية فى مجتمع ما مستعينا بكافة المعطيات التاريخية فى تأصيل نتائجه الأمر الذى يؤكد أن التحليـل التاريخى لأى بناء اجتماعى أمر على جانب كبير من الأهمية .

ويمكن أن تتضح العلاقة الوظيفية بين علم الاجتماع والعلوم الأخرى على النحو التالى :

عـلم النفس :

ان دراسة السلوك الاجتماعى للكائن الانسانى لا يمكن أن ينصل عن الميكانيزمات السيكلوجية ، بل أن دراستنا للمنظمات الاجتماعية تؤكد أن البناء البشرى لهذه المنظمات يخضع بالتالى لدراسات علم النفس . وفضلا عن ذلك فان هناك علاقة وثيقة تربط بين دراسة الفعـــل action وبين الأسباب الاجتماعية التى تحدثه (١) ومن زاوية أخرى فقد يتعقد الموقف عند التفرقة بين علم النفس والاجتماع ، ذلك أن الأول يتولى دراسة الشخصية الفرديه وما يتعلق بالذكاء والقدرات والاتجاهات والدوافع والمشاعر . بل قد يتفق علم النفس مع البيولوجيا فى دراسة نسق الأعصاب ، ومن يمكن القول أن علم النفس يختص بكل ما هو ذاتى فى الانسان على عكس علم الاجتماع الذى يهتم بكل ما هو اجتماعى فى ذات الفرد . لكن حـــين نتحدث عن علم النفس الاجتماعى فان التفرقة قد يشوبها الغموض اذ أن الأخير (علم النفس الاجتماعى) يتطرق الى دراسة الاتجاهات وما يرتبط بها فى الجماعة الانسانية

---

(١) Max Horkheimer : op. cit. P. 1.

وعلى ذلك فان هذا العلم ميدان هام لاهتمامات علماء الاجتماع (١) ٠

وفضلا عن ذلك ، فان علم النفس يحاول دراسة سلوك الفرد من خلال درجة تفاعله مع الغير ، وبينما يركز علم النفس على الفرد ، يركز علم الاجتماع على دراسة الجماعة ، وفى نفس الوقت يستخدم كثير من علمـــاء الاجتماع مصطلحات سيكلوجية للتعبير عن مفاهيم اجتماعية ، فمثلا العلاقة بين التنمية المحلية ومعدلات الانتحار يمكن تفسيرها اجتماعيا وسيكلوجيا على النحـــو التالى : انه فى المجتمعات سريعة النمو يوجد كثير من المهاجرين لا تربطهم أى رابطة أسرية أو درجة من الصداقة (وهذا هو الجانب السوسيولوجى) وكثيرا ما يشعر هؤلاء بالانطواء والعزلة فى بادىء الأمر ومن هنا تتداخل مصطلحات علم النفس والاجتماع (٢) ٠

الاقتصـــاد :

يتطلق هذا العلم بدراسة الأشياء المتبادلة بين الأفراد والجماعات والتى من شأنها أن تخلق قيمة لهـذه الأشياء ، انه يمكن تحديد موضوع الاقتصاد فيما يمكن أن يدرس ريع الأرض وأجر العمل وأرباح راس المـال كما يدرس المهارات الادارية داخل النسق الاقتصادى (٢) لكن هذه الدراسات ذات الطبيعة الاقتصادية لا تجدى ان لم تتخللها النظرة السوسيولوجية باعتبار أن كافة هذه العمليات الاقتصادية لا تتم الا داخل مجتمع وعلى هذا الأساس كان عمل رجل الاقتصاد أن يدرس تلك الحقائق الاقتصادية فى ضوء دراسات علـم الاجتماع ومن هنا تبدو الرابطة بين اهداف الاقتصاد والاجتماع ٠

التـــاريخ :

هناك علاقة وثيقة بين علم الاجتماع والتاريخ ، فالأخير سجل عـــام لأحداث المـاضى ، وعند التمييز بين مباحث علم الاجتماع والتاريخ نجد أن العلامة ببرستيد Bierstedt يرى أن التـــاريخ يتسـم بالخصوصية او

---

(١) Evrett K. Wilson : sociology, the darsey press Homewood Illionois second prenting 1966.

(٢) Mott : op. cit. p. 3.

(٣) Wilson : Ibid p. 16.

الفردية ، على عكس علم الاجتماع الذى تتسم دراساته بالعمومية ، أن التاريخ نظام وصفى بينما علم الاجتماع علم تحليلى ، وأن التاريخ يعطى تفصيلات نمطية للعلاقة بين الانسان والأحداث ، بينما يهتم علم الاجتماع بالأحداث المائلة والتى لها صورة واضحة فى ذهن الاجتماعى والتى تعطى تأكيدات واضحة لسير الظاهرة الاجتماعية ونشأتها وتطورها .

الأنثروبولوجيا :

لها علاقة وثيقة بعلم الاجتماع غير أنها متشعبة الى فروع مختلفة فهناك الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية التى تدرس تشريح الجسم وهناك علم الأوكيولوجى أو دراسة تاريخ ما قبل الانسان ، كما أن هناك فرع اللغويات واللغويات المقارنة ، كذلك فهناك الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية ولهما علاقة وثيقة الصلة بعلم الاجتماع وان كان البعض يرى أن الانثروبولوجيا انما تدرس الانسان البدائى فحسب بينما يهتم علم الاجتماع بدراسة الانسان المعاصر والمجتمعات المعقدة ، ومع ذلك فان التمييز بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا غير واضح بالقطع اذ تتداخل الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع فى تفاعل مستمر (١) حيث تدرس الأولى الجماعات وتفسر العلاقات بين الأفراد كاجزاء فى كل فضلا عن قيام الانثروبولوجيا المعاصرة بدراسة المجتمعات بسيطة التكوين كالقرى والأحياء المتخلفة والقبائل وبالتالى فانها تستفيد من دراسات علماء الاجتماع فى هذا الصدد (٢) وفضلا عما تقدم فان فرع الأنثروبولوجيا الثقافية يتفاعل أيضا مع الدراسات السوسيولوجية فى دراسة المفهوم الثقافى ، ويوضح نادل Nadel العلاقة بين ما هو ثقافة وما هو مجتمع ، فى أن الثانى (المجتمع) هو مركب من الناس وأن الطريقة التى يسلكها هؤلاء الناس فى معيشتهم هى الثقافة (٣) ومن هنا يبرز مدى التداخل والتلاحم بين الدراسات الأنثروبولوجية بفروعها المتنوعة وبين الدراسات السوسيولوجية .

---

(١) Wilson : Ibid P.16.

(٢) Mot : op. cit. P.

(٣) Milvlle T. Herskovits : Cultural anthropology oxford IBH Publishing Co. New Delhi. 1958 P.31.

السياســـة :

هناك علاقة بين علم الاجتماع والسياسة ، فكلاهما يهتم بدراســـة السلوك الانسانى ، كما تدرس السياسة كافة النظم السياسية ومدى تاثيرها على سلوك الفرد والجماعة كما أن هناك موضوعات تثير انتباه علماء السياسة مثـل النظرية السياسية ونظرية الادارة والقانون والدولة والحكومة ، كمـا يهتم علماء الاجتماع بالنتائج التى يصل اليها رجال السياسة لأنها تساعدهم على دراســـة أنماط السلوك الفردى والجماعى التى تحدث داخـــل التنظيم الاجتماعى ٠

ان دارس النظرية السياسية يتضح له مقدار التفاعل المستمر بين رجل السياسة والاجتماع وكيف يعتمد كل منهما على الآخر فى بحوثه ودراساته وان المتتبع لتاريخ النظرية السياسية يجد أن أفلاطون مثلا قام بدراسات اجتماعية وسياسية حيث درس الطبقات الاجتماعية والعدالة والأسرة والتعليم ذلك خـلال ابحـــاثه عن مدينـة فاضلة كما كان لأرسو ايضـا دراساته السياسية ٠ وهكذا تطورت الدراسات السياسية الى دراسة الدولة القومية والنظم الاشتراكية والفاشية والرأسمالية (١) ٠ وكل هذه الدراسات انما تدرس الواقع الاجتماعى للشعوب والمجتمعات ومن هنا يبرز التفاعل المستمر بين الدراسات السياسية والاجتماعية ٠

تلك هى أمثلة لواقع البحوث ودراسات علم الاجتماع وعلاقتها ببعض العلوم الاجتماعية الأخرى التى تسهم معه فى دراسة الانسان والمجتمع ، وعلى هذا الأساس نقـرر أنه رغم الصفة التخصصية التى يتميز بها علم الاجتماع حتى تتوفر له مقومات العلم فانه مع ذلك يتداخل ويتفاعل مع كافة العـلوم التى تفيد فى دراسة المجتمع كالاقتصاد والتاريخ والسياسة ٠٠٠ هذا يؤكد طبيعة العلاقة بينه وبين تلك العلوم ٠

---

(١) George H. Sabine : A. History of political theory third edition, oxofrd and IBH Publishing Co. New Delhi 1961 p. 35.